الاعتراف بالظل مصالحة مع الذات: قراءة في ومضة "خيانة" لعصام الشريف

هيفاء حماد، سوريا

خيانة[21]

في الشوارع الخالية حاصرتني ظلال أنكرتها إلا ظلي.

"في الشوارع الخالية" شبه جملة يمكن أن تفتح في ذهن القارئ آلاف الاحتمالات لما سيأتي بعدها. ولكن كيف تخلو الشوارع من المارة والسيارات؟ هل يمكن أن يكون ذلك؟ وإن كان فلابد من أسباب تجعلها خالية. لعله الوقت المتأخر جدًّا من الليل، أو الحرب وربما الطقس العاصف أو الحار جدًّا. وربما ليس كذلك وإنما قصد الراوي أنها خالية من الأحبة. وربما أيضاً قصد بالشوارع الخالية تلافيف الذاكرة. فالألف واللام هنا دليل معرفة الراوي بهذه الشوارع. أي هو يقصد شوارع بعينها.

بالانتقال إلى التركيب اللغوي التالي (حاصرتني ظلال) نرى جملة فعلية تعود للراوي. وهنا كلمة ظلال تدلنا على أن الوقت كان نهاراً. إذاً الراوي يجوب الشوارع نهاراً وربما خلو الشوارع سببه شمس الظهيرة. أو أنه مجرد شعور عند الراوي فهو سارح بأفكاره ولا يشعر بالمارة، وكأنهم

[21] عصام الشريف. أطياف ومرايا. الكتاب الرابع في سلسلة ومضات قصصية. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، مايو 2015. ص 11.

غير موجودين بالنسبة له، وذلك ليس في شارع واحد وإنما في عدة شوارع قطعها. في هذه الجملة (حاصرتني ظلال) نجده فيها مفعولاً به (ياء المتكلم) فهو محاصر من قبل ظلال. ظلال من؟ لا ندري.. ظلال الأحبة ؟ ظلال أعدائه؟ ظلال أشباح؟ لا أحد يعلم ماهية تلك الظلال التي حاصرته على مرأى جميع المارة الذين لا يشعر هو بوجودهم.

ثم يتابع الراوي ليصبح فاعلاً وتلك الظلال مفعولاً به في جملة (أنكرتها كلها) فالراوي قوي فاعل تحدى كل تلك الظلال واستطاع إنكارها وعدم الاعتراف بها أو التعرف عليها أو إتاحة الفرصة أمامها لتكون فاعلة مرة أخرى. (إلا ظلي) هنا يتضح أن ظل الراوي كان مع تلك الظلال التي حاصرته، أو ربما اختلطت مع ظله عندما حاصرته. فإن كان ذلك فهذا يعني أن هناك فرقا واضحا جداً بين ظله وتلك الظلال، فهو بسهولة استطاع التعرف عليه. وإن كان ظله معهم فلماذا يحاصر الظل صاحبه؟ وعلى مرأى الجميع؟ ولماذا ينكر جميع الظلال إلا ظله؟ أيمكن أن يكون ظله أقوى من كل تلك الظلال ومنه؟ أم لأنه راضٍ عنه دون غيره؟ فإن كان أقوى منه فهذا يعني أن هؤلاء الذين حاصروه وأنكرهم مظلومون، فهم ضعفاء. أما إذا كان استستناء ظله لأنه راضٍ عنه فهذا دليل أن هؤلاء لا يستحقون منه إلا الإنكار والعفو عن ظله الذي كان مخدوعاً بهم. وربما أيضاً هو متصالح مع نفسه، وأدرك خطأ ظله لكنه سامحه وحاول احتضانه قبل ان يخطئ أو يخدع

مرة أخرى. وبالعودة إلى العنوان (خيانة) نتأكد من احتمال خيانة تلك الظلال للراوي. إذاً هو الآن في صحوة وقد اكتشف حقيقة تلك الظلال واستطاع تحديها والانتصار عليها، والمصالحة مع ذاته.

obeikandl.com